الحسيب

الحسيب من معانيه : المكافىء ، ومن معانيه أيضاً : الاكتِفاء ؛ فالمكافىء المثيل ، فلان حسيب فلان أي مكافِئه ومثيله ونِدُّه ؛ والحسيب أيضاً : الذي يكفي ، من الاكتِفاء ، فالله ـ سبحانه ـ هو الكافي تقول : أكرمني فلان وأحسبني أيْ كفاني ، وأعطاني فوق ما أريد . وتقول : حَسْبِي الله ونِعم الوكيل أيْ : أن الله سبحانه وتعالى كافيني ؛ أما حُسبانك على الله : بِمعنى حِسابُك على الله ؛ فالمعنى الأول : المكافىء . والمعنى الثاني : الكافي . والمعنى الثالث : المُحاسب . مِن النِّدِّية والمِثلية ، ومن الاكتِفاء ، ومن الحِساب . ويكون معنى الحسيب في حق الله تعالى في أدق معانيه : الكافي ؛ تقول : حَسْبِي الله ونِعم الوكيل أيْ : يكفيني ولا أحتاج إلى غيره . فالعِباد كلهم لو أطاعوا الله عز وجل ، كَفاهم أمر دنياهم وآخرتهم .

والحسيب : هو السيد الذي عليه الاعتماد . وليس في الوجود حسيب سواه . قد تعتمد على إنسان يحبك ، ولكنه ضعيف لا يستطيع أن يُنجيك مما أنت فيه ، وقد تعتمد على إنسان قوي ، ولكنه لا يحبك . وقد تعتمد على إنسان قوي ويُحبك ، ولكنك لا تصل إليه .

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٤] .

فمَن اعتمد على غير الله ، ضلّ ، ومن اعتمد على غير الله ، ذلّ . ومن اعتمد على ماله افتقر ، ومن اعتمد على عِز إنسان ، أُذِلّ .

اجعل بربك كل عِزٍّ ك يستقِر ويثبت
فإذا اعتززت بِمن يمو ت فإن عزَّك ميِّت

الحسيب : الكافي . والحسيب : النِد . والحسيب : المحاسب . وليس في الوجود حسيب سِواه ، فأقوى قَوِيٍّ في الدنيا لو اعتمدت عليه ، ربما توفاه الله وأنت بِأمسِّ الحاجة إليه ، وربما تغيَّر عليك فجأةً بلا سبب ، وربما تنكَّر لك . لذلك من الشِّرك ؛ أن تعتمد على غير الله ، كلمة حسبي الله ونِعم الوكيل : أيْ أنّ الله يكفيني وهو القوي . هو الرزاق ، هو الغني ، هو العليم ، هو الكريم ، هو السميع ، هو المجيب ، هو الرؤوف ، هو الرحيم ، هو المُعطي ، هو المانع ، هو الرافع ، هو الخافض ، هو المعز ، هو المُذل . حسبي الله ونِعم الوكيل أيْ : أنّ الله يكفيني .

مثَلاً : إذا تعَيَّن إنسان بِوظيفة دوامها ثماني ساعات ، وراتبه الشهري ثلاثة آلاف ليرة ؛ فهذا لا يكفي للعيش ، تجده يبحث عن عَملٍ آخر ، وعن طريقة أخرى لِكَسب المال فهذا المال لا يكفيه ، إذاً يزوغ إلى جِهةٍ أخرى . لكنك إذا اعتمدت على الله ، كفاك ، وأغرقك بالنعيم ، وطمأنك ، كفاك وشَرَّفك ، كفاك ورفعك ، كفاك وأعزَّك ، فَكَلِمة حسبي الله ونِعم الوكيل مِن أفضل الأذكار ، وهي من أذكار النبي عليه الصلاة والسلام . فإذا سعى الإنسان لِجِهة ولم يُوفَّق فيها ؛

ماذا يقول ؟ حسبي الله ونِعم الوكيل . وإذا سلك طريقاً ثم رآه مسدوداً ؛ فماذا يقول ؟ حسبي الله ونِعم الوكيل . والمؤمن يرضى بقضاء ربه ، ويعلم عِلم اليقين أن هذا الطريق ليس في صالح آخرته ، لذلك وضع الله أمامه العراقيل والنبي عليه الصلاة والسلام عَلّمنا ، فقد كان إذا رأى ما يحب قال : « **الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات** » وإذا رأى مايكره قال : « **الحمد لله على كل حال** » ليس في الوجود حسيب سِواه .

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس : ٣٢] .

إذْ إنه لا جِهة غير الله تُغني ، إما أن تكون مع الله فأنت المكتفي ، وإما أن تبتعد عنه فأنت في فقرٍ دائم . وأنت من خوف الفقر في فقر . وأنت من خوف المرض في مرض . وَتَوقُّع المصيبة مصيبة أكبر منها . حسبي الله ونِعم الوكيل ، وليس في الوجود حسيب سِواه .

وقالوا الحسيب : هو الذي انتهى إليه كل شَرَفٍ في الوجود ، وهذا معنى رابع تقول : فلان حسيب نسيب ، بِمعنى مُشرَّف ومكرّم . فأول معنى للحسيب : النِّد . والمعنى الثاني : الكافي . والمعنى الثالث : المحاسب . والمعنى الرابع : الشريف . يكفيك شَرَفاً أن تنتسب إلى الله ، قال تعالى :

﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ﴾ .

ملاحظة : هذه الياء ياء الإضافة وليست ياء النسب ، ياء النسب كقولك (دمشقي) نسبة إلى دمشق والله أعلم .

وإذا قلنا : ياء نَسَب ، أي منسوب إلى الله عز وجل عن نِسبة تشريف وتكريم ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان : ٦٣] .

فأنت منسوب إلى ذات الله عز وجل نَسَبك الله إليه وشرَّفك وكرَّمك قال تعالى :

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٠] .

فالله صانك فلا تتبذّل . ورفعك فلا تسقط . وشَرَّفك فلا تسْفل . وأعزَّك فلا تذِل . وأعطاك فلا تصدف عنه وترجو غيره ، ولا تتوجّه إلى سواه .

وقيل : الحسيب الذي يُحاسِب عِباده على أعمالهم ، وهذا المعنى مرّ قبل قليل ؛ يُحاسِب الطائعين فَيُثيبهم على طاعتِه ، ويُحاسب العاصين فَيُجازيهم على معصيتهم ، وهو حسيب كل إنسان . ولا تُحاسب ؛ فالله هو المحاسب ، وحِسابه دقيق ، ويُحاسب على أدق الدقائق ، وعلى أدق الكلِمات ، وعلى أدق الذرات قال تعالى :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧ـ ٨] .

وإذا أيْقنت أنه سَيُحاسبك فلا بد أن تخاف منه . وإذا خِفت منه . استقمت على أمره . وإن استقمت على أمره . أقْبلت عليه . وإن أقْبلت عليه . سَعِدت بِقُربه . وإذا سعِدت بِقُربه اسْتَغنيت عن الدنيا وما فيها بعد أداء الأسباب ، ومن عرف الله زهِد فيما سواه . الحسيب : النِّد . والحسيب : الكافي . والحسيب : المحاسب .

والحسيب : الشريف . وكل هذه المعاني لها وُجوه تليق بجلال الله وذاته .

بعض العلماء ذكر أن الحسيب فيه ثلاثة وُجوه : الأول : أنه الكافي ، والعَرَب كانت تقول : نزلت بِفلان فأكرمني ما كفاني . سألَت امرأة يزيد بن المهلب أن يُعطِيَها من ماله فأعطاها وأجْزَل ؛ فقال له من في حضرته : لقد كان يكفيها القليل وهي لا تعرِفك ، فقال هذا الأمير : إذا كان يُرضيها القليل ، فأنا لا أرضى إلا بالكثير . وإن كانت لا تعرفني ، فأنا أعرِف نفسي .

فإن قُلت الله حسيب : بِمَعنى يُعطيك عطاءً عظيماً ، إذا عاش الإنسان ثلاثاً وستين سنة ، وأطاع فيها الله عز وجل فهو عاش كَعُمُر النبي ﷺ وبالأربعين تاب إلى الله تعالى واستقام فَيَكون قد أطاع الله تعالى ثلاثاً وعشرين سنة يستحِق جنة إلى أبد الآبِدين ؛ فَما معنى جنة إلى أبد الآبدين ؟ وما معنى الأبد ؟ العقْل لا يُمكن أن يتصوّر معنى الأبد ، ذلك لأنه لا يفهم إلا حجماً معَيّناً ، ووقْتاً مُعَيّناً ؛ أما الأبد فلا يفهمه . بعض المجرات تبعد عنا عشرين مليار سنة ضوئية ، والضوء يقطع بالثانية الواحدة ثلاثمئة وستين ألف كيلومتر ضرْب ستين بالدقيقة ، وضرب ستين بالساعة وضرْب أربعة وعشرين باليوم ، وضرْب ثلاثمئة وخمسة وستّين بالسنة ، ضرْب عشرين مليار سنة . كل هذا للنجم ، إذا كان أحدنا في الأرض وإلى هذا النّجم أصفار وفي كل ميليمتر صفر فما قيمة هذا الرقم ؟ هذا الرقم قيمته صِفر إذا قيس إلى مالا نهاية ، فكل شيء تراه بعيداً في هذا الكون فهذا النجم أبعد من عشرين مليار سنة ضوئية واحد في الأرض وأصفار إلى هذا النجم ، هذا الرقم اجعلْه صورة أو بسطاً وضَعْ في مخرجه لا نهاية ؛

فقيمته صِفر . فكلما عدّ الإنسان إلى الأعلى مليار مليار مليار سنة كان الأبد أكبر ؛ وهذا الأبد في النعيم ثمنه أن تطيع الله عشرين سنة أو ثلاثين سنة ، وهذا هو معنى المُعطي فهو يعطي ويُجزل في العطاء . خلقك لِجنة عرضها السموات والأرض ؛ على أن تُطيعه في هذه الحياة الدنيا . ومن نِعمته أنه ما حرمك شيئاً وكل شهوة أوْدَعها فيك ، جعل لك طريقاً نظيفاً للتمتع بها فَسُبحانه وتعالى ما حَرَمنا النساء بل أمرنا أن نتزوج . وما حرمنا المال بل أمرنا بالعمل ، وحرَم عليك الكذب ، والزنى ، والخمر ، والمعاصي التي لا تليق بالإنسان ؛ فهذه الطاعات ثمنها الجنة ، إذاً هو المكافىء يُعطي فَيَكْفي .

يقول سيدنا علي رضي الله عنه : يا بني ما خيرٌ بعده النار بِخيرٍ ، وما شرّ بعده الجنة بِشَرٍّ ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية . فعطاءٌ في الدنيا لا يُمكن أن يسمى عطاءً ؛ لأنه ينتهي بالموت ، ولا أعرف إن كانت صورة الموت واضِحة ، فكل إنسان له قريب وصديق وجار ثمّ تراه بِالمغْتَسل وبعد ساعتين بالقبر . أين غُرفة النوم ؟ وسيارته ومكانته ؟ ومنجزاته ؟ كل هذا انقطع ، أيها القراء الكرام : لا يمكن أن يُسمى عطاء الدنيا بالنسبة إلى عطاء الله في الآخرة عطاءً ؛ لأنها عَرَضٌ حاضِر يأكل منه البَر والفاجر ، والآخرة وعْد صادِق يحكم فيه مِلك عادل .

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ** » . [رواه الترمذي] .

هذا كلام مَنْ ؟ كلام من لا ينطق عن الهوى ، لو أن الدنيا تعدِل عند الله جناح بعوضة ما سقى الله الكافر منها شرْبَة ماء ، فإذا رأى

أحدنا بيتاً ضخماً جداً ، أو مَرْكبَة فخمة جداً ، أو بُستاناً رائعاً ، أو مركزاً تِجارياً كبيراً ، وقال : هنيئاً له فقد عظّم حقيراً ، قال تعالى واصفاً قارون ومن اغترَّ به عندما خرج على قومه في زينته :

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾[القصص: ٧٩ـ٨٠].

فالله تعالى حسيب : أيْ يكفي العبد ويكفيه كل مُؤنته . ورد في بعض الآثار : « **أنْ يا عبدي كن لي كما أريد ولا تُعْلِمني بِما يُصلِحُك** »

أيْ : لا تتكلّف وتُبْلِغني الذي يُصلِحك ؛ فأنا أعرف ما يُصْلِحك ، وما يُرضيك وما يُسْعِدك . كن لي كما أريد ولا تُعْلِمني بِما يُصلِحُك ، وهناك أثر آخر : « **كن لي كما أريد أكن لك كما تريد** » .

وفي أثر آخر : « **أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سَلَّمت لي فيما أريد ، كَفَيْتك ما تريد ، وإن لم تُسَلِّمني فيما أريد ، أتْعَبْتُك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد** »

فالحسيب : هو الكافي فإذا قُلت : حسْبِيَ الله ونِعم الوكيل ؛ يكفيك مؤونة الدنيا والآخرة ، ويكفيك كل الهم ، مهما ضاقت عليك السُّبُل ومهما أُحْكِمت حولك الحلقات .

ولَرُبَّ نازِلة يضيق لها الفتى ذَرْعاً وعند الله منها المَخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلَقاتها فُرِجت وكنت أظنها لا تُفْرَجُ

وقيل :

كُن عن همومك مُعْرِضا وَكِلِ الأمور إلى القضا

وابْشِـــر بِخَيْـــر عـــاجِـــلٍ تنســى بــه مــا قــد مضــى
فَلَـــرُبّ أمـــر مُسْخِـــطٍ لــك فــي عــواقِبــه رِضــا
وَلَـــرُبّمـــا ضـــاق المضيـ ـــقُ وَربمـــا اتســع الفضــا
الله يفعـــل مـــا يشـــا ء فـــلا تكـــن مُعْتـــرِضـــا
الله عَـــــــــوَّدك الجميـ ـــل فَقِسْ على ما قد مضى

أنْ تقول : حسبي الله ونِعم الوكيل ، وتردد ذلك ، هذا ذِكْر بِمَعْنى الله يكفيني . صِحتك بِيده ، وزوجتك بِيده ، والأقوياء بِيده ، والضعفاء بِيده ، ومن فوقك بِيده ، ومن تحتك بِيده ، وطعامك بِيده ورِزقك بِيده ، فإذا قلت : حسبي الله ونِعم الوكيل ، قرَّتْ نفسك وانتهى الأمر .

الثاني : بِمعنى حسيب . فالله يُحاسِب خلقه يوم لِقائه فهو تعالى يُحاسِبهم في الدنيا لِيُرَبيهم ، ويُحاسِبهم في الآخرة لِيُجازيهم ؛ حِساب الدنيا تربية ، وحِساب الآخرة جزاء . هناك قِصص كثيرة أسْمعها من أهل الصلاح من أهل العلم .

ذكر لي أخ عنده معمل ألبسة ، قال : علم أحد إخواننا من المسجد أنّ عندي معمل ألبِسة فطَلب مني ست قِطع ، فاعتَذرت منه لأنّني لا أبيع إلا بالجملة وكأنني شعرت بِالهوان فالكمية التي طَلَبها قليلة ولا تملأ العَين ، فذكر لي هذا الأخ أنه مضى عليه شهر تقريباً ما رأى زبوناً واحداً عنده في المعمل ، عِقاباً له على هذا الصنيع ، والله حاسَبَه على هذا الكِبر وهذا الازدراء للآخرين .

وذكر لي أخ من إخواننا عن إنسان كَبرَ وكبر حتى ملك عدداً كبيراً

من الطائرات المدنية والفنادق ، ولما تشوّفتْ نفسه قال لقد وصلت عالياً وأنا حدودي السماء ولم يمضِ على كلامه اللحظات حتى سُحب من تحته البِساط ، وشُدّ الحبل ، وقُبِضت روحه . فالله يُحاسب وهذا المعنى الثاني . فأول معنى : الله يكافىء . والمعنى الثاني : الله يُحاسب . فعلى الإنسان أن يضبط لِسانه وجوارحه ودخْله وماله وكل حركاته لأن الله يحاسب (حسيب) والصواب أنه كلما كبر عقلنا ونما إدراكنا يجب أن يزداد خوفنا من الله وكلما صغر المرء أمام ربه فالله يعظمه أمام الخلق ويعلي شأنه وكلما صغرنا وتواضعنا وافتقرنا وأعلنا عبوديتنا لله عز وجل ، وقلنا : يا رب أنا من دونك لا شيء ، أنا من غير علمك جاهل ، أنا من دون عونك ضعيف ، وأنا فقير ، أنا الأدنى يا رب وأنت الأعلى ، وأنت الكريم ، وأنت الغني ، وأنت القوي ، وأنت العالم ، كلما أعلنت عن ضعفك وافتقارك وعبوديتك رفعك الله ، وكلما قلت أنا وأنا خفضك الله عز وجل وإليك الحادثة التي تلخّص المعرفة ، مرة ذكر أن رجلاً في أوروبة قال : إذا حمل هذا الصفصاف إجاصاً فأنا أُزاح عن مركزي ، وبعد أيام أُزيح فجاء الناس ووضعوا ثمار الإجاص فوق الصفصاف . الله حسيب .

من الناس من يكون حِسابه يسيراً إذا كان مؤمناً ، فهو من أهل النعيم الدائم . ومنهم من يكون حِسابه شديداً على الفتيل والقِطمير وهم الكفار .

معنى الحسيب الثالث : هو الشريف ، تقول : هذا بيت حَسَب ونَسَبٍ بالتعبير الشائع . مَنْ هو الشريف حقيقة ؟ هو الذي لا يرتكب المعاصي ، ولا يبخل ولا يكذب ولا ينافق ولا يذل ولا يغتاب ، فكلما تنزَّه الإنسان عن المعاصي صار شريفاً وليس الأمر كما في بعض

البلدان التي تتوارث الشرف بعض الأسر ولا يتزوّجون إلا من أشراف أسرتهم أو قبيلتهم :

لا تقـل أصلـي وفصلـي أبـداً إنما أصل الفتى ما قد حصل

شرف الإنسان بطاعته لله ، وشرف المؤمن قِيامه بالليل ، وعِزُّه استِغناؤه عن الناس ، فاعلم إذًا أنّ شرفك بطاعتك لله . ولا شيء آخر . فالمحاسب الكافي والشريف . والشريف : الذي له صفات الكمال والجمال والجلال . وبعض العلماء قال : « **الحسيب هو الذي يكفي بِفضله ، ويصرف الآفات بِطَوْله** » ، وقيل : هو الذي إذا رُفِعتْ إليه حوائج قضاها وإذا حكم بِقضية أبرمها وأمضاها وقيل : هو الذي يعُد عليك أنفاسك ويصرف بِفضله عنك بأسك .

القرآن الكريم ورد فيه اسم **الحسيب** كثيراً في القرآن الكريم قال تعالى :

﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء : ٦] .

فإذا كنت وصيّاً على يتيم وله مال وكنت في حاجة ، فلك أن تأكل منه بِالمعروف ، والعلماء قالوا : « **الأكل بالمعروف : أن تأخذ حاجتك أو أجر المِثل أيهما أقل** » ، فإذا كان مع اليتيم مئة ألف وأَعْمَلتَها في التجارة ورَبِحت عشرة آلاف تعطي خمسة لِصاحب المال وخمسة لك ، فأنت إن كان يكفيك أربعة فلا تأخذ خمسة ، فإذا كان يكفيك خمسة عشر ألفاً ونصيبك خمسة تأخذ الخمسة أو أجر المِثل

أيهما أقل هذا إن كنت فقيراً أما إذا كنت غنياً فَعَليك أن تستَعْفِف . واذكر ولا تنس من الذي سَيُحاسبك ؟ ومن الذي يعلم ما إذا كنت غنياً أو فقيراً ؟ هناك من تجده يحتمي بمال يتيم ويضعه في التجارة فإن ربحت تلك التجارة وضع ماله فيها ، وإن لم تربح يبقى ماله بعيداً عن الخسارة ، ويدّعي أنّ مال اليتيم ذهب في التجارة ، هذا لا يجوز ، والنبي ﷺ قال : « **لا تقي مالك بماله** » ، لا تجعل ماله دريئة أو حَقْل تجارب . تجد تُجاراً يتَّجرون بأموال غيرهم فإن كانت صفقة تجارية ولم يكونوا واثقين منها اشتغلوا بأموال الآخرين ويقولون لك : هذه قِسمة ونصيب والتجارة رِبْح وخسارة ولم تربح هذه الصفقة ، وإن ربِحت أدخَل ماله في هذه الصَّفقة ، فمن الذي يعرف هذه الحقائق ؟ هو الله ، الحسيب الذي يحاسب ، هناك حالات بالتجارة ، وهناك حالات علاقة بالنساء ، وحالات اجتِماعية ، فَلو كان تعاملك مع أذكى إنسان على الأرض فلن يكْشِف نياتك ، ولا تصرفاتك في كثير من الأحيان ، ولكن الله يعلم فالخلْفِيات والحقائق لا يعلمها إلا الله .

عندما يؤمن الإنسان أن الله رقيبُه ، يصبِح لديه دِقَّة في معاملاته تكاد تكون خيالية ، ويجعل كل شيء في الحُسبان . سَمِعت قِصة وما أكثر ما ذكرتها في دروس المساجد ؛ إنسان تُوُفِّيت خالته فأخبرني أنّه : مرَّت ثماني سنوات وهو يراها بِالمنام تَحْتَرِق ، فَيَقول لها : مالك يا خالة ؟ فتقول له : الحليب ، ولكنه ما فَهِم عليها قصدها ، وكانت خالته امرأة أب وعِندها أولاد زوج فكانت تضع للحليب الذي كانت تسقيه لأولاد زوجها ماءً ، أما ابنها الذي من صُلْبِها فتُعْطيه حليباً كامل الدسم ؛ ثماني سنوات وهي تَلْتَهِب ، فمن الذي يعرف حقيقة هذه المرأة ، إن زوجها كان يراها تقدم كؤوس الحليب لأولاده جميعاً

ولكن الذي يعلم الحقيقة هو الله عز وجل . المنام ليس حجة في أحكام الشريعة ولكن يُسْتَأْنَس به .

فالله هو الحسيب المحاسب قالوا : لا تُحاسِب ، الله المُحاسب . وآخر كانت له أُخت عانِس ساكِنة بِبَيْته وكانت زوجته تُبالِغ في إهانَتِها ، فقال : كنت جالِساً مرة على سرير ، وزوجته إلى جانبه ، وأراد أن يشرب الماء فَرَكَل أخته برجله وقال لها : أحضري لي كأسًا من الماء فَبَكَت من شدة إهانتِه لها أمام زوجَة أخيها ، وفي اليوم التالي سافر إلى مدينة حَلَب وفي الطريق وقع له حادث سَيْر أُصيب بِرِجْلِه اليُمنى وأُصيب بِمرض الغَرْغَرِين فَقُطِعت من أعلى الفَخِذ ، لقد كانت الرِّجْل التي ركَل بها أخته لِيُهينها أمام زوجتِه . فإذا عتا الإنسان وتجبَّر ؛ وأكل أموال الناس بالباطل ، فالله هو الحسيب الكبير ، وكلما ازداد عقلك وإدراكك ازداد خَوفك من الله ، المؤمن يَنْخَلِع قلبه خوفاً من الله .

مرةً قال لي طالب : أنا لا أخاف من الله ، فأردت أن أُحجّمه وقلت : يا بني الفلاَّح أحياناً يأخذ ابنه الصغير معه إلى الحصاد وَيَضعه بين سنابِل القمح فيمرّ ثعبان بِجانِبه فَيَضع الطفل يده على الثعبان ؛ لماذا لا يخاف منه ؟ لأنه ليس لديه إدراك ؛ فكُلما ضعُف الإدراك ضعف الخوف ، وكلما ازداد الإدراك ازداد الخوف . وأحياناً تجد الطبيب يُبالِغ بِغَسل الفاكهة وذلك من شدة ما يراه كل يوم من الجراثيم والأعراض الإنتانية والالتهابات المعوية والإسهالات وأنواع الأمراض ؛ فهذا الذي يراه يدعوه إلى المبالغة في التنظيف والتعقيم ؛ فكلما ازداد العلم ازداد الخوف من الله . والله مُحاسب . وهذا أحد كبار صُناع الحلويات في لبنان ، كان يُصدّر طائرة كلَّ اليوم إلى دول

الخليج محملة بالحلويات ، دخل يوماً إلى مصْنَعِه ولم يُعْجِبه صنيع أحد العمال فأخذ تلك العجينة ووضعها على الأرض وعجنها بقدميه لِيُعلّم الصناع عرْك العجين فقال له العامل مُنَبِّهاً إنك تلبس حِذاءً فأجابه : وماذا... على الناس أن يأكلوا من تحت قَدَمَيّ ؟ بعد شهرين قُطِعت رِجلاه اليمنى واليسرى كلاهما وهو الآن مقيم في بريطانيا ، والوقائع كثيرة لا تُعد ولا تُحصى ، وأنا أذكر وقائع وأحداثاً عادِية ولو أنَّ الإنسان لديه قُدرة على البحث والتنقيب والدرس لرأى العجب العُجاب . اعمل ما شِئت ؛ واعلم أنَّ حِساب الله في الدنيا حِساب تَرْبوي . أما حسابه تعالى في الآخرة فهو حساب جزائي ، بالدنيا يُحاسب لِيُربى أما بالآخرة لِيُجازى ، هذه الآية الأولى .

الآية الثانية قال تعالى :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء : ٨٦] .

فَمَشاعر الذين يردون التحية يعلمها الحسيب وحده هل هي تحية إسلامية دينية أم هي صدَرتْ من كِبر أو تواضع أو رد جميل أم هي صدَرتْ من كراهيّة أو محبة أو خداع ؟ هناك أشخاص لديهم القُدرة على التمثيل قدرة كبيرة جداً قالوا عن الدِّبلوماسية : هي التعبير عن أسوأ النيات بِأجمل الألفاظ . وهي أحد تعريفاتها اللاذعة من الممكن أن تكون لك ابتِسامة شكليّة ، ومصافحة حارة وأنت تغدر بهذا الذي تُصافِحه ؛ فهذا السلام ؛ وراءه محبة أوغَدْر ؟ أو إخلاص ؟ أو انتقام ؟ أو طعن بالظهر ؟ أو كراهية ؟ فمن يعرف ويعلم هذه الحقيقة ؟ وكل إنسان يقدِر على الابتِسامة ، ولكن النيات لا يعلمها

إلا الله لذلك جاءت الآية الكريمة : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ .

بعد ردّ التحيّة ، طبعاً معظم الناس يلقون السلام ويردون السلام ، لكن النيات والخلفيات والحَيْثيات وما بين السطور هذه لا يعلمها إلا الله . قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

فإذا خشي الإنسان الله وحده ، وتحمَّل المشاق ، وتجشَّم المتاعب ، لأنه خشي الله وحده ، وبَلَّغ رسالته ، ولم يَعْبأ برِضاء الناس . فمن الذي يعرف حجم تضحِيته ؟ وحجم ما يُعاني ؟ طبعاً من السهولة أن تُرضي الناس ، وأن تنجُوَ منهم ، وأن تُسْمِعهم ما يُحِبون . لكنك إذا كنت صادقاً ، ومُخْلِصاً ، ونطقْت بالحق ، ولم تأخذك في الله لوْمة لائم ، فربما أتعبك الناس وثاروا عليك وانتقدوك وطعنوا فيك ؛ والله هو الذي يعلم حجم تضحِيَتِك لذلك قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ، وقال تعالى :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

الله يعلم أدق الأعمال ، وأدق الذرات والنقير ، والقِطمير ، والفتيل ، والنقير : رأس النواة المذنب ، والقِطمير : غِشاؤها ، والفتيل : الخيط بين فَلْقَتيْها ، فلا تُظلمون فتيلاً ولا قِطميراً نقيراً ولا ذرة ولا مِثقال ذرة من خردل ، ولا ظُلمْ اليوم وما كان الله

لِيَظْلِمهم ، فالله حسيب ، قال تعالى :

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

قال تعالى :

﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

إن تكلمت أو لم تتكلم ، وإن أبَحت أو لم تُبِح ، وإن ذكرت أو لم تذكر ، فالله سُبْحانه وتعالى سيُحاسِبك ، وقال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

فَمهما تقلَّب عليك الناس ، ومهما اجتمعوا وتآمروا فقُل : حَسْبي الله ونعم الوكيل . فكلهم بِيد الله عز وجل قال تعالى :

﴿ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود: ٥٥ـ٥٧] .

مهما اجتمع الناس على أن يضروك ، وعلى أن يُوقِعوا بك الألم ، فقُل : حَسْبِي الله ونِعم الوكيل ، أنت أقوى منهم بِالله . يكفينا شَرَفاً هذه الآية :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة : ٥٩] .

من أحبنا أحببناه ، ومن طلب منا أعْطيناه ، ومن اكتفى بنا عما لنا كنا له وما لنا ، قُل : حسبي الله ، يكفيني الله ، قال تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : ٢ـ٣] .

يكفيه ، فإذا كان لشخص قضية في القضاء ، وكانت مُعَقَّدة وصارت مُداخلات كثيرة وخصمه قوي فإذا قال : حَسْبي الله ونِعم الوكيل ؛ فالله هو الذي يُدافِع عنه ، وإذا شعر بِبَوادر مرض خطرٍ عظيم وقال : حسبي الله ونِعم الوكيل فالله يُزيح عنه المرض قال تعالى :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠] .

وهذا من أنواع الذِّكر الراقي جداً . أن تقول حسبي الله ونِعم الوكيل ، يا رب التَجأت إليك واحتمَيْت بك واستعنت بك على من يُعاديني وتوكلت عليك ، وأنت حسبي ورَجائي وذخري وملاذي .

إنّ الله عز وجل أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يقول ؛ قال تعالى :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩] .

وقد أُمرنا أن نقول هذا الذكر سبع مرات . فعن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « **من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه صادقاً كان أو كاذباً** .

وبعد فنحن تطالعنا نقطة دقيقة في الموضوع ؛ يقول أحد العلماء : « **إن كِفاية الرب لِعَبْده أن يَكْفِيَه في جميع أحواله وأشغاله ، وأجلّ هذه**

الكِفايات ألا يُعْطِيَه إرادة الأشياء » ، بل هذه الكلمة : رب! خِر لي واختر لي أرقى درجة من أنواع التوكل . يَسِّر لي ما فيه صلاح لي في ديني ودُنياي وهو دعاء الاستِخارة ، أساساً ألم يقل النبي ﷺ ذلك :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ الله عَنْهمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ : « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ : عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ : فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ » .

[رواه البخاري]

فإذا علِم العبد أن الله هو الذي يكفيه ، لم يَرْفع حوائجَه إلا إليه . ويُعاب من يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم . إذا أيقنت أن الله وحده هو الذي يكفي ، لا تَسْألُ غيره . فإن الله سُبحانه وتعالى سريع الإجابة لِمن انقطع إليه ، إذاً أنت مُتَّجه إلى الله تعالى بكليتك ولا تُعَلّق أملك بِمن دونه فهو سريع الإجابة . وتوكل في جميع أحوالك عليه . فأما إذا كانت حاجتك في حق الله خيراً محْضاً كطلب الهداية ، والاستِقامة ، والرزق الحلال ، والكِفاية فهذا الطلب يُجاب فوْراً لأنه في حق الله ، وأما إذا طلبت الدنيا فهناك وضْعٌ آخر لعلها لاتنفعك لعلها تُؤذيك وتُبْعِدك فلذلك قد يُجيبك وقد لا يُجيبك ، فالأدعية

المُتعَلّقة بالآخرة سريعة الإجابة . ومن علِم أن الله كافيه لا يستَوْحِش من إعراض الخَلْق ولا يأْنسُ بهم .

يذكر أحد العلماء في اسم الحسيب ؛ أنّ من كان الله له حسيباً ، كفاه والكِفاية ـ دقِقوا ـ والكِفاية التي يحتاج الإنسان إليها كِفاية دوام وُجوده وليس في الوجود شيء هو وحده كافٍ لِشيءٍ إلا الله سبحانه وتعالى ، يحتاجه كل شيءٍ في كل شيء . ليس في الكون إلا الله وحده هو الذي يكفي كل الخلائق .

قال : فإنه وحده كافٍ لِكل شيء لا لِبعض الأشياء . وحده كافٍ يحصل به وجود الأشياء ، ودوام وجودها ، وكمال وجودها ، فإذا أردت الوجود ، ودوام الوجود ، وسلامة الوجود ، وكمال الوجود ، فقل : حسبي الله ونِعم الوكيل . إذا رأيت أن الرضيع يرضع من والِدته ؛ فاعلم أن الله أودع في قلب هذه الأم الرحمة وأسال من ثديها الحليب ، ولولا ذلك ما كان هذا الطفل مَكْفِياً بِأمه ، فإذا بدا لك أن الطفل مكفِيٌّ بِأمه فهذه كِفاية الله له .

من أدب المؤمن مع ربه ؛ أن يعلم أن الله سَيُحاسبه غداً على الكبير والصغير ، ويُطالبه بالنقير والقِطمير ، ومِن وراء عِلم العبد بهذا يُحاسِب نفسه إذا عَلِم أنه سَيُحاسَب ، سَيُحاسِب نفسه قبل أن يُحاسبه غيره ، ويُطالب قلبه بالقيام بالحقوق قبل أن يُطالبه سواه ، ومتى راقب العبد معنى الحسيب ، وتجلّى له نور القريب ، انبثق في قلبه نور فإذا نفسه تُحاسبه على تقصيره في الطاعة ، وتُذكِّره بحساب يوم القِيامة .

أرسل رجل مؤمن طعاماً إلى البصرة عن طريق وكيل وقال : بِعِ الطعام بِسِعر يومه . ولما وصل هذا الوكيل إلى البصرة استدعى التجار

ونصحوه أن يؤخِر البيع أسبوعاً فقط ؛ يرتفع السِّعر فأخر أسبوعاً ورَبِح أرباحاً طائلة وبشَّر مُوَكِّله بهذه الأرباح وجاء الجواب : ادفع الثمن كله لفقراء البصرة فقد دخل على مالي الشبهة ؛ فهو حبس الطعام لِيزداد سِعره فصار مُحْتَكِراً والمحتكر خاطىء هذا قول رسول الحسيب ﷺ .

غلام لحسان بن أبي سنان كتب إليه أَن قصب السكر قد تَلِف فاشترِ السكر ، فذهب إلى السوق واشترى السكر ، وبعدها ربح ثلاثين ألف دينار . وبعد ربحه تذكر أنَّ هذا الذي اشترى منه السكر ما علِم أن السكر أصابته آفة فباعه بهذا السِّعر البخس فقال له : يا هذا قد جاءتني رسالة من غلامي أن قصب السكر أصابته آفة فَأَقِل هذه البَيْعة ، فقال له أنت الآن قد بلَّغتني فقال له : كان ينبغي أن أُبَلِّغك قبل هذا وبَطلَ شِرائي للبضاعة ، فقال البائع : قد سامحتك على هذا ، فقال : لن أقبل ولا أنام الليل إلا إذا أقلتني من هذه البضاعة .

فكان سلفنا الصالح يحاسبون أنفسهم حِساباً عسيراً ، وهذا رجل تزوج امرأة ثم تزوج عليها خُفيةً ، فلما عَلِمت الأولى سكتت ثم مات زوجها فأرسلت نصيب ضرَّتِها من الإرث فقالت لها ضرَّتها : والله لقد طلقني قبل أن يموت وليس لي عنده شيء . وذاك الراعي قال له ابن عمر رضي الله عنهما : بِعني هذه الشاة فقال : ليست لي فقال له : قل له ماتت فقال : والله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت له إنها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، فأنا أمين عند صاحب هذه الشاة ولكن أين الله ؟ هكذا كان السلف .

إذا حاسبنا أنفسنا حساباً دقيقاً على الزلات والهفوات وعلى مستوى القِرش والدريهمات ، سلمنا وسعدنا . كان سيدنا عمر بن

عبد العزيز إذا كلمه شخص بِقضية شخصية يُطفىء السِّراج الذي يوقد من بيت المال ، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى إبِلاً سمينة فقال : لِمن هذه الإبل ؟ فقالوا : هي لابن عمر ، قال : ائتوني به ، فقال : لمن هذه الإبل ؟ فقال : هي لي اشتريتها بِمالي الحلال وبعثت بها إلى المرعى لِتسمن فماذا فعلت ؟ فقال عمر : وَيَقول الناس يا بني! اِرعَوا هذه الابل فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل فهي لأمير المؤمنين ، وهكذا تَسْمن إبِلُك يا ابن أمير المؤمنين ، هل علمت لماذا هي سمينة ؟ لأنك ابني ، بِعْ هذه الإبل وخُذ رأس مالك ورُدّ الباقي إلى بيت مال المسلمين .

فَالله سُبْحانه وتعالى حسيب يُحاسب وحسيب يكفيك ؛ يكفيك أمر الدنيا والآخرة ، وحسيب يُشرِّفك إذا عرفته ويرفع لك قدْرك ، فهذا البحث إن فهمناه وعملنا به رفعنا إلى هذا المستوى نكُنْ قد استفدنا منه لأنَّ العلم في الدين ليس هدفاً لِذاته وإنما هو وسيلة لِسُمُوِّ النفس ، بالعمل به فكلمة حسبي الله ونِعم الوكيل تقال عند كل هم وحزن وعند كل موقف عُدواني ، أو عند ناس تآمروا عليك فقُل : حسبي الله ونعم الوكيل . والله هو الذي يُدافع عنك أقوى دِفاع ويرفعك ويُعْلي قدرك وينصرك على خصومك ؛ حسبي الله ونعم الوكيل . فالذين عارضوا النبي ﷺ أين هم ؟ في مزبلة التاريخ أبو لهب ، وأبو جهل ، وأمية بن خلف . والذين أَيّدوه ونصروه أين هم الآن ؟ في روضات الجنات ، فإيّاك أن تكون في خندقِ مُعادِ للدين! وأن تتجاوز الحد إيّاك وإيّاك! الله عز وجل حسيب ورقيب وخبير . قال تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام : ١١] .

وفي آية أخرى قال تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل : ٦٩] .

أحياناً المُكذّب الضالّ المُنحرف المُعتدي والطاغي يُمهله الله لِحِكمة يريدها ، وأحياناً يبطِش به سريعاً لِحِكمة يريدها ، فإذا تأخر الجواب وتأخر الجزاء جاءت « ثم » كما في الآية الحادية عشرة من سورة الأنعام ، وإن جاء سريعاً ذكرت الفاء التي تفيد التعقيب كما ذكرت في الآية التاسعة عشر من سورة النمل .

ومن أدعية هذا الاسم : إلهي أنت الكافي لِمن ركن إليك ، القدير والمُتكفِّل لكل من توكل عليك أنت أسرع الحاسبين ، وغوث الطالبين ، أشْهِدني نور اسمك الحسيب ، حتى أتحلى بِالسر العجيب ؛ فأُحاسِب نفسي قبل أن أُحاسب ، وأُطالبها بالقيام بالواجب قبل أن أُطالب ، وحقِّقنا بِسِر قولك حسبنا الله ونعم الوكيل ، واجعلني ممن اهتدَى سواء السبيل ، وخَلِّقني بمعنى اسمك الحسيب فأقوم بِحوائج إخواني من بعيد وقريب .

إذا ربَّيت أولادك فاكفِهم ، وإن أطعمت الفقير فاكفِهِ ، وإن أعطيت زكاة مالك فأعطِ الفقير حتى يكتفي ، الإمام الشافعي يرى أن تعطى كِفايَة العمر كله ، أبو حنيفة يرى أن تعطى كِفاية عام . إذا أعطيت فاكْفِ ، وأعطِ عطاءً جزيلاً واجعلني يا رب ممن اهتدَى سواء السبيل ، وخَلِّقني باسمك الحسيب فأقوم لإخواني بِحوائجهم من بعيد وقريب ؛ حتى أتحقق بالشرف والحسب إنك على كل شيء قدير .

* * *